

II - ٧

من طرائق التداخل النصي الاحالة الى النص الغائب بحيث يكون فهم النص الحاضر رهينا بتأمل النص الغائب وفك شفراته ، ومثل هذا نراه في « مناجاة اللوح الأعلى » ، حيث يأخذ موقفا محددا من آيات التوحيد - التي تحتوى على صيغة « لا اله الا ٠٠٠ » ، فيجعل كل توحيد منها مقاما يشار اليه بكلمة واحدة ، وهذا ما يحول كل أسماء المقامات الى اصطلاحات ، لا نحتاج لفهمها سوى العودة الى ثبت بها يقرنها بدلالاتها ، وهذا ما فعلته محققة الاسراء ، اذ قارنت هذه المقامات بما يوازيها مباشرة في كتابه « الفتوحات » . والعلاقات بين الآيات والاصطلاحات الدالة عليها تكون في أغلب الأحيان مباشرة سوى في بعضها ، كما في قوله : « ثم رفعت حجاب الأنوار ، فلاح لي توحيد الأسرار » (٨٢) ، اذ يشير - حسبما ترى سعاد الحكيم - الى الحروف التي في مبادئ السور بوصفها أسراراً ، « ونجد هذا التوحيد في قوله تعالى : « الم ﴿ لا اله الا هو الحي القيوم ﴾ آل عمران ١ - ٢ ، انظر الفتوحات ٤٠٦/٢ ، التوحيد الثالث ، حيث يسميه توحيد حروف النفس » (٨٣) .

ومن هذا التناص الاحالي أيضا ، قول الحق له : « طوبى لسر وصل اليك ، وخر ساجدا بين يديك ، له عندي ما خبأته وراء حدى ، وقد ناجيتك به في مشهد المطلع ، عند ارتقائك عن المحل الأرفع » (٨٤) . وهنا إشارة الى نص آخر له هو « مشاهد الأسرار القدسية ومطالع الأنوار الالهية » ، وبالتحديد المطلع الذي سماه في النص الغائب « مشهد نور المطلع وطلوع نجم الكشف » ، وفيه مناجاة بينه وبين الحق ، يعرفه فيها بالظاهر والباطن والحد والمطلع ، وبهذا يتداخل تداخلا مزدوجا مع الحديث النبوي من ناحية ، ومع هذا الجزء من المشاهد من ناحية أخرى . لكنك لا تملك - حتى حين ترجع الى المشهد - الا أن تحس هذا السر الذي وصل اليه وخر ساجدا بين يديه ، فهل هو العلو والنزول بين المقامات : « ثم قال لي : من المطلع علا من علا » (٨٥) ، أم هو جدلية الطلوع والشهود ، أو لنقل توالى المطالع وترادف الشواهد ، أو قلنقل الديومية ، أم هو سر الوجدانية : « ولو كشفت لك عن أدنى سر من أسرار سر الوجدانية الالهية الذي أودعته فيك ، ما أطق حمله ، ولا حترقت » (٨٦) . أم هو رؤية الحق اذ ترى نفسك : « لا ترى الا نفسك في كل مقام » وفي أسرع من لمح البصر ترتقى مقامات لم ترها قط ، ولا تعود اليها ، ولا تزول عن نفسك ولا تتعدى قدرك » (٨٧) . أم هو الاختراق بكشف السر لغير